ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

فلسفة القول ورمزية التواصل غير المعلن عند النِّفَّري

م.د. بدرية ناصر عبد
قسم اللغة العربية
كلية الكوت الجامعة - العراق
البريد الالكتروني: badria.Naser@alkutcollege.edu.iq

م.م. سجا كريم مشهدي
قسم اللغة العربية
كلية الكوت الجامعة - العراق
البريد الالكتروني: saja.k.mashhadi@alkutcollege.edu.iq

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة نصوص النفري قراءة تداولية تفاعلية، لأن خطاب النفري خطاب (غير معلن) أو بالأحرى هو فعل مضمر يمارس الصوفي من خلاله معراجه الروحي وطقوسه العبادية.

فيظهر لنا أنَّ منجز النص في المواقف هو نفسه متلقيه، وتغدو اللغة حجاباً للعبارة. إذ يراه يُداخل بين الصمت والنطق والقرب والبعد والشكوى واليقين، فبلاغة النفري هي بلاغة إنكار الحرفية؛ لأن الحرف يخبر عن نفسه.

الكلمات المفتاحية: النفري، اللغة، التواصل غير المعلن، التداولية.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237
ISSN Online: 2709-071X
ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022
العدد (12) مايو 2022

The Philosophy of Saying and The Symbolism of Unspoken Communication According to Al-Nafari

Dr. Badria Nasser Abed
Department of Arabic language
Al-Kut University College - Iraq
Email: badria.Naser@alkutcollege.edu.iq

Asst. Lect. Saja Karim Mashhady
Department of Arabic language
Al-Kut University College - Iraq
Email: saja.k.mashhadi@alkutcollege.edu.iq

ABSTRACT

This study aims to read the texts of al-Nafri interactive deliberative reading, because al-Nafri's speech is a speech (unspoken) or rather a embedded act through which the Sufi practices his spiritual miracles and worship rituals .

It shows us that the text is accomplished in the positions itself as its recipient, and the language becomes a veil of the phrase. He sees him interjecting silence, pronunciation, proximity, distance, complaint and certainty, and the eloquence of the nafri is the eloquence of the denial of craftsmanship, because the letter tells about itself.

Keywords: Nafri, language, undeclared communication, deliberative.

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

المقدمة :

يُراد بالقول Discaurs – Discourse speech ((كل تعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا يرتبط بعضها ببعض)) [1] ؛ إذن القول عبارة عن منظومة متكاملة من الملفوظات المتداخلة وفقاً لعلاقات صوتية وصرفية ونحوية وبلاغية تُسهم في بناء مفاهيم متنوعة وتفتح آفاقاً من التأويلات والتفسيرات[2] .

وانفرد فتنغشتاين (Fatanghishtayin) في فلسفته الثانية وتحديداً في كتابه تحقيقات فلسفية بمقاربة جديرة بالمتابعة عندما انتقل من من قول اللغة إلى فعلها[3] ، فهي نقطة الانطلاق نحو الاهتمام بالمشكلات التي تشكل فلسفة اللغة Philo sophiedu Langage وهذا ما أكده بقوله : ((إنَّ عملي تطور من أسس المنطق إلى ماهية العالم))[4] ، فاللغة وفقاً لهذا المفهوم ليست وسيلة لفهم العالم وتمثيله ، إنما هي وسيلة تأثير في الآخرين لارتباطهما بالمواقف المحسوسة في التواصل[5].

يعتقد فتنغشتاين أنَّ دلالة ملفوظ معين ليست مرتبطة بالاستعمال السليم لقاعدة تُستعمل ضمن لعبة لغوية معينة ، بل إنَّ هناك حالات لا تمكننا من معرفة القيمة الدلالية لتعبير لغوي معين مرتبط بحكم لا قاعدة له ؛ لذلك علينا الشروع في بحث الإشكالات الدائرة حول أصالة هذه العبارة:(هل أنَّ المتكلم يقول ما يُفكر فيه بالضبط)[6]. إنَّ الاجابة عن هذا التساؤل تفترض كما فتغنشتاين : ((أن تكون لنا معرفة بما تضمره نفوس البشر))[7] .

وهذا التحول من قول اللغة إلى فعلهما يجعل معنى اللغة مرتبطاً باستعمالها[8] ، لتصبح نشاطاً فعلياً قائماً على الخبرة والعمل متجاوزةً بذلك جدل الدال والمدلول واللفظ والمعنى إلى عملية معيار نجاحها في التداول لا في الدلالة[9] .

وبهذا المفهوم تكون التداولية نظرية تواصلية تخاطبية تدرس الظواهر الخطابية في مجال الاستعمال من خلال إدماج حقول معرفية خصبة ومتنوعة تضم مستويات متداخلة ومتحايثة من البنيات اللغوية والقواعد التخاطبية والعمليات العقلية والذهنية ، فهي نظام علاماتي عام يهدف إلى وضع علامة دلائلية[10] .

---

(1) المعجم الفلسفي : 34
(2) ينظر : فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد : 71 .
(3) ينظر : فلسفة اللغة والذهن : 13 .
(4) فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين : 13 .
(5) ينظر : في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم : 51 ، والمقابلة التداولية : 22 .
(6) ينظر : فلسفة التواصل : 29 .
(7) فلسفة التواصل : 29 .
(8) ينظر : ينظر : فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين : 37 .
(9) ينظر : فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد : 74 .

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

- رمزية التواصل غير المعلن عند النفري :

إذا كانت الملفوظات التخاطبية العادية لا تثير أية صعوبات على مستوى التداول والتخاطب ، فإنَّ النص الأدبـي لكونه ظاهرة تخاطبية معقدة يثير عدة صعوبات بسبب الغمـوض والانزياح والتضمين والتلميح والترميز الذي يؤطر لغته ، وهذا ما نجده في الخطاب الصوفي .

إنَّ غموض المتن الصوفي وانغلاقه يحتم على المؤول (القارئ أو الشارح) التأمل والتروي في أثناء عملية التأويل واختراق البنى السطحية والولوج إلى عمق النص ، من خلال اللغة التي تضطلع بدور وجودي فهي تمثل أنجح وسيلة للكشف عن الوجود ، فاللغة لا تستهدف التواصل فقط وإنما جلب الأشياء إلـى الوجـود بعد التلفظ بها ، وتوظيفها في الاستعمال لغويًّا ، فحيثما توجد اللغة يوجد العالم ؛ لأنَّ الانسان لا يستطيع مقاربة الموجودات إلا من خلال اللغة . يقول كادامير : ((إذا كانت كل لغة تمثل رؤية للعالم فإنها ليست كذلك ؛ لأنها نوع محدد من اللغة ، وإنما لأنَّ هناك ما تقوله وتبثه))[11] .

لقد عبر المتصوفة باللغة التـي أعادوا بواسطتها إنتـاج وتمثيل الـواقع والحـدث أيًّا كان مصدره ، وتوسعـوا في أشكال التعبير التي جادت بها اللغة ، وشكلوا نسقًا خطابيًا متباين الرؤى والمكونات والظواهر النصية ؛ فاللغة الصـوفية لـغة (رمزية – إضمارية) ذات دلالات متعددة ، لذا فهي عينة خطابية خصبة ، وهذا مـا نلتمسه فـي نصـوص وخطابات النفري المبثوثة في كتابه (المواقف والمخاطبات) ، الذي احتـوى على ثمـانية وسبـعين موقفًـا وسبعة وخمسين مخاطبة ، ويُقصد بالمواقف تلك الوقفات الروحية الوجدانية التي يقفها العبد أمام الله ، وهي موافقة الله له أو معه حسب أحواله ، والواقف في فلسفة النفري هو المنقطع عن الطلب لفنائه في المطلوب[12] ، أما الوقفة فتعني ((إدراك الكون والأشياء من منظور يفوق كل علم بشري وكل معرفة صوفية أو حدسية أي ما يفوق البرهان والعرفان ويأتي من الحضرة الإلهية مباشرة))[13] .

((يقول النفري : وقال لي : الواقف علم كله حكم كله ولن يجمعها معًا إلا الواقف.
وقال لي : الواقف لا يصلح على العلماء ولا تصلح العلماء عليه.
وقال لي : الواقف يبعد بقرب العالَمين ، ويحتجب بعلوم العالِمين.

وقال لي : الوقفة روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ، والعلم روح الحياة .
وقال لي : الواقف لا يروقه الحسن ولا يروعه الروع ، أنا حسبه والوقفة حده.

---

[10] ينظر : تقديم عام للاتجاه البراغماتي ، ضمن أهم المدارس اللسانية : 95، نقلاً عن كتاب الأنساق الرمزية في اللغة والادراك : 95.
[11] سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي : 69 .
[12] ينظر : شرح مواقف النفري : 115 .
[13] فرسان العشق الإلاهي : 519 .

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

وقال لي : كل واقف عارف ، وما كل عارف واقف.

وقال لي : الواقفون أهلي ، والعارفون أهل معرفتي))[14].

حيث قدم لنا النفري عبر نمط حواريّ غير مألوف عند معاصريه أو من سبقه من المتصوفة فلسفته القائمة على الوقفات والرؤية لفهم آلية الظفر بالتواصل مع الله ، والوقفة في فلسفته مشتقة من الوقوف والواقف هو المنتظر لتلقي الخطاب الإلهي ، وهو ذلك المريد المتجرد من حب الذات أو السوى أو الغير والمنغرس في عوالم الغيب دون حجب ، ويقف في حالة تهيء واستعداد لتلقي الخطاب الإلهي .

وتتحقق هذه العملية الحوارية في مدارج روحية لا محل للآخر فيها إلا إذا كان من ضمن مفردات هذا الخطاب ، فبناء الملفوظ وتأويله نشاط متعدد الأطراف يستلزم قيام علاقة تواصلية بين طرفين على الأقل أحدهما (متكلم) والآخر (مخاطب) وحضور كل طرف منهما يظل حضوراً ممكنًا ، أي متحققًا بالقوة حتى لو لم يتحقق بالفعل ، وحتى في المونولوج الداخلي يظل حاضراً ، وحتى مـع غياب المتكلم حسيًّا وبصريًّا عن مدارك المتلقي أو القارئ يظل حاضرًا في وعيه وتفكيره [15] وهكذا تصبح العلاقة بين المتكلم والمتلقي علاقة انفصال واتصال في آن واحد ، يقول : ((ياعبد انتقل بقلبك عن القلوب التي لا تراني إنَّ لي قلوبًا أبوابهم إليَّ مفتوحة ، وأبصارهم إليَّ ناظرة ، تدخل إليَّ بلا حجاب ، هي بيوتي التي فيها أتكلم بحكمتي ، وفيها أتعرف إلى خليقتي ، فانظر قلبك فإن كان مـن بيوتي فهو حرمي ، فلا تُسكن فيه سواي ، لا علمي ، فليس علمي من بيوتي ، ولا ذكري ، فليس ذكري من بيوتي ، إنك إن أسكنت فيه ساكنًا حجبتني فانظر ماذا تحجب))[16].

ويظل خطاب النفري مع الله خطابًا داخليًّا أو بمعنى أعمق معراجًا روحيًّا ، فهو يتفكر وينصت ويصمت ثم يتحدث باللغة (النص) ، فعلى أعتاب اللقاء الإلهي يتوقف النفري عن الكلام ؛ ومـن يتشبث بقدرته على الكلام لا يحظى بنشوة الوصول : ((ياعبد لا تنطق فمن وصل إليَّ لا ينطق)) [17] ، من هنا تحول الافتتان بالحضور الإلهي إلى افتتان بسحر حضوره داخل الموقف متجليًّا باللغة ؛ حيث يحضر النفري داخل الحدث الكلامي بوصفه منصتًا للغة التي تستدعيه وتحادثه[18] ، إنه لا يحاورها ؛ لأن شرط المحاورة داخل الموقف هو الإنصات لخطاب الآخر بوصفه نداءً : ((وقال لي قف بين يدي ... لا حديث بين يدي أنا أُحادثك))[19] ، فـ (الصمت) في فلسفة النفري حوارٌ وكلامٌ داخليّ يعكس ما هية اللغة في الحياة الباطنية عند المتصوفة ، فالذين يعرفون كيف يصمتون

---

[14] محمد بن عبدالجبار النفري ، الأعمال الصوفية : 68 – 69 .
[15] ينظر : التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات وأنواع الكفايات المطلوبة في المؤول (بحث ضمن كتاب التداولية علم استعمال اللغة) : 135 .
[16] محمد بن عبدالجبار النفري ، الأعمال الصوفية : 192 .
[17] محمد بن عبدالجبار النفري ، الأعمال الصوفية : 217 .
[18] ينظر : أبعاد التجربة الصوفية (الحب – الانصات – الحكاية) : 222 .
[19] محمد بن عبدالجبار ، الأعمال الصوفية : 390.

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

هم وحدهم القادرون على الكلام ، يقول : ((أوقفني في الصمت وقال لي إنَّ لي عبادًا صامتين رأوا جلالي ، فلا يستطيعون أن يكلموه ، ورأوا بهائي ، فلا يستطيعون أن يسبحوه . فلا يزالون صامتين حتى آتيهم فأخرجهم من مقام صمتهم إليَّ . فمن صمت عني ، فهو عبدي الصامت .

وقال لي : اصمت لي ما استطعت ، تكن أول من يُدعى إليَّ إذا جئت .

وقال لي : عبدي الصامت أتلقاه قبل موقفه وأشيعه إلى داره[20] .

وتتم هذه العملية الحوارية في دائرة مغلقة ، هي دائرة ذاته ، ويسمى هذا النمط من التواصل بـ (التواصل غير المعلن) ؛ لأنه يقوم على تعاقد ضمني وتفاهم خفي بين المتكلم والمتلقي ؛ لتأويل وإدراك هذا الخطاب ، فكل محاولة لفهم الآخر وتهجيه وقراءته هي محاولة تداولية ويتمثل العنصر المحوري في التداولية[21] في (اللغة) ؛ اللغة في بعدها الحواري ، الخطابي ، الإدراكي الذي يجعل منها الأداة الأهم في التواصل البينذاتي.

وقد أشار إلى هذا المعنى المستشرق نيكلسون إذ يقول : ((إنَّ الحالات الصوفية أشبه بالشعور منها بالتعقل ، إنَّ محتويات الشعور الديني لا يمكن الاطلاع عليها ؛ أي نقلها للآخرين)) [22] ؛ وهم أنفسهم ذكرو أنَّ لهم ألفاظاً يتداولونها فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم ، والإجماع والتستر على من باينهم في طريقتهم ، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرةً منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها[23] ؛ يقول النفري : ((أوقفني في القرب وقال لي ما مني شيء أبعد من شيء ولا مني شيء أقرب من شيء إلا على حكم إثباتي له في القرب والبعد .

وقال لي : البعد تعرفه بالقرب ، والقرب تعرفه بالوجود ، وأنا الذي لا يرومه القرب ولا ينتهي إليه الوجود .

وقال لي : لا بعدي عرفت ولا قربي عرفت ولا وصفي كما وصفي عرفت .

وقال لي : أنا القريب لا كقرب الشيء من الشيء وأنا البعيد لا كبعد الشيء من الشيء .

وقال لي : قربك لا هو بعدك وبعدك لا هو قربك وأنا القريب البعيد قربًا هو البعد وبعدًا هو القرب .

وقال لي : القرب الذي تعرفه مسافه ، والبعد الذي تعرفه مسافه ، وأنا القريب البعيد بلا مسافه)) [24].

إذ تمثل معادلة القرب والبعد عند النفري تحديدًا رمزيًّا لمسار الرحلة (الوجودية – المعرفية) بين عتبتي الانفصال والاتصال بين عالمين ، العالم الأرضي (الواقعي) بكل مغرياته وعالم الخلد السرمديّ الوجود ،

---

[20] المصدر نفسه : 266 .
[21] ينظر : فلسفة التواصل : 56 .
[22] صوفية الاسلام : 29 .
[23] الرسالة القشيرية : 52 .
[24] محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري ، الأعمال الصوفية : 60 – 61 .

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

فالقرب والبعد عند المتصوفة ، قرب وبعد روحي فـ ((أول رتبة القرب : القرب من طاعته والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته ، وأما البعد فهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته ، فأول البعد بعد عن التوفيق ثم بعد عن التحقيق ، قال صلّ الله عليه وآله وسلم (ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى يحبني وأحبه ، فإذا احببته كنت له سمعًا وبصرًا ، فبي يسمع وبي يبصر))[25] .

ويبدو أنَّ النفري على وعي تام بأهمية ما ينتجه من نصوص ، فهو يريد للعارف أن يترقى في مداركه الروحية باتجاه الرؤية أو باتجاه الله نفسه ، وهو فعل قائم على التجرد من بسطوة الذات والتمركز حولها والارتقاء بها إلى الحضرة الإلهية التي عبر عنها بالوقفة ، فلا قيمة لمعرفة من دونها وقد قال له الحق : ((معرفة لا وقفة فيها مرجوعها إلى الجهل))[26] .

ويُشكّل سلم المعراج الروحي في الفكر النفري بناءً هرميًّا تراتبيًّا يبدأ من الأعلى بالجهل ثم العلم ثم المعرفة وقاعدته الوقفة التي تخرج بذات الواقف من حصونه المعرفية الضيقة إلى رحاب الحضور الإلهي المطلق ، يقول في موقف التقرير : ((وقال لي : الواقف علم كله ، حكم كله ، ولن يجمعها معًا إلا الواقف .
وقال لي : الواقف لا يصلح على العلماء ولا تصلح العلماء عليه .
وقال لي : الواقف يبعد بقرب العالمين ويحتجب بعلوم العالمين .
وقال لي : الواقف هو المؤتمن والمؤتمن هو المختزن .
وقال لي : الواقف لا يروقه الحسن ولا يروعه الروع ، أنا حسبه والوقفة حده .
وقال لي : كل واقف عارف وما كل عارف واقف .
وقال لي : الواقفون أهلي والعارفون أهل معرفتي .
وقال لي : الواقف يرث العلم والمعرفة ولا يرثه إلا الله .

وقال لي : الواقف يرى ما يرى العارف وما هو به ، والعارف يرى ما يرى العالم وما هو به .
وقال لي : العارف ذو قلب والواقف ذو رب))[27] .

ويعدّ الفناء عن إرادة السوى المحور الأساس وأهم المداخل القرائية في مواقف النفري ، فالعبور إلى الحضرة الإلهية لا يتحقق إلا بالانفصال عن السوى أو الغير الذي تتنازعه في خطاب النفري دلالات متشعبة تمثل كل ما يشغل الإنسان عن الاكتمال والوصول إلى مقام الوقفة التي لا ينمحي فيها وجود الإنسان ولكن ينمحي ويزول الإحساس به[28] ، يقول : ((يا عبد أخلصتك لنفسي ، فإن أردت أن يعلم بك سواي فقد أشركت

---

(25) الرسالة القشيرية : 51 .
(26) محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري ، الأعمال الصوفية : 70 .
(27) محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري :
(28) ينظر : فلسفة التصوف عند النفري : 34 .

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

بي ، وإذا سمعت سواي فقد أشركت بي ، أنا ربك الذي سواك لنفسه ، واصطفاك لمحادثته ، وأشهدك مقام كل شيء))[29] وجاء في موقف العزة : ((أوقفني في العزة وقال لي : لا يجاورني وجد بسواي ، ولا بسوى آلائي ، ولا بسوى ذكراي ، ولا بسوى نعماي .

وقال لي : أَذْهِبْ عنك وجد السوى وما من السوى بالمجاهدة .

وقال لي : إن لم تذهبه بالمجاهدة أَذْهبته نار السطوة)) [30].

ويتضمن مفهوم الفناء عن إرادة السوى فكرتين أساسيتين[31] :

الأولى : الإعراض عن العمل وعدم التعويل عليه وسيلة للنجاة .

والأخرى : نفي وجود الإرادة الإنسانية والتسليم بالقدر .

والنفري من خلال كل ما تقدم يريد أن يؤكد على ضرورة التعلق بالله وعدم التعويل على الأسباب أو الاعتداد بالأعمال بأسلوب غير مباشر ويؤسس للا منطوق ، فحين تعجزه اللغة يبحث في ظلالها عن لغة أخرى

(رمزية – إضماريه) ذات دلالات متعددة قابلة لأكثر من تأويل ؛ فهي ((لا تصف بل تبوح ولا تبرر بل تقـرر ولا تشرح بل تلوح))[32] .

يقول في موقف البحر[33]:

((أوقفني في البحر فرأيت المراكب تغرق والألواح تسلم ، ثم غرقت الألواح ، وقال لي لا يسلم من ركب .

وقال لي : خاطر من ألقى نفسه ولم يركب . وقال لي : هلك من ركب وما خاطر .

وقال لي : في المخاطرة جزء من النجاة ، وجاء الموت فرفع ما تحته وساح على الساحل .

وقال لي : ظاهر البحر ضوء لا يبلغ وقعره ظلمة لا تمكن ، وبينهما حيتان لا تُستأمن .

وقال لي : لا تركب البحر فأحجبك بالآلة ، ولا تلق نفسك فيه فأحجبك به)) .

فالرمز عند النفري رمز مغاير وهو أعمق وأشمل من رموز سابقيه لأنه ((يصعد بنا من المفردة الرمزية المحدودة إلى موقف رمزي خالص بجميع عناصره ودلالاته ولحظاته ، ليرسم لنا لوحة رمزية شاملة ، تتشابك بها الرموز المفردة الصغيرة لكي تكون في النهاية الحدود العامة لهذه اللوحة))[34] ، فنـرى النفري هنا يُدخل

---

(29) محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري : 191 .
(30) المصدر نفسه : 90 .
(31) ينظر : فلسفة التصوف عند النفري : 72 .
(32) العبور الى الذات حول المضمر في الخطاب الصوفي : 176 .
(33) محمد بن عبدالجبار ، الأعمال الصوفية الكاملة : 64 – 65 .
(34) دلالة الرمز ووظيفته المعرفية في التجربة الصوفية (مصنفات النفري أنموذجاً) : 14

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

لفظة (البحر) في دائرة الرمز الذهني عبر الإدراك السمعي والبصري فيتضاعف بذلك العمق التأثيري لهذه الصورة فيتجاوز حدود الاستعارة والتشبيه إلى التجسيد والوصف الذي يُنتج دلالات مجردة جديدة تفوق ما يُنتجه الإدراك البصري المشاهد ، فقد جعل البحر مكانًا للوقوف ثم انزاحت الأحداث لتخلق صوراً متحركة تتكون من بحرٍ هائج تتقاذفه الأمواج وتغرق فيه المراكب فتتحطم وتغدوا ألواحًا ثم تغرق هي الأخرى والنتيجة واحدة فظاهر البحر ضوء لا يُبلغ وقعره ظلمة لا ضوء فيها وبين الظلمة والضوء حيتان لا تُستأمن .

فقد تعاملت الرؤية التداولية مع الاستعارة في سياقها الفعلي ، فهي وسيلة خطابية تواصلية تتجاوز الألفاظ إلى الجملة فالخطاب ، لتضحي نشاطاً لغويًّا فعليًّا تأثيريًّا يستدعي حضور المتكلم والمخاطب والسياق في عملية التواصل .

لذلك تعددت الرموز الموحية التي تضمنها هذا النص وتعددت تبعًا لذلك قراءاته فشارح المواقف التلسماني يرى أنَّ البحر رمز لما يقطعه العبد ويسافر فيه أثناء سلوكه . والمراكب ترمز لما يُتخذ طلباً للنجاة ،

وذلك في عادة أهل السلوك العبادة الظاهرة ، والألواح رمز للأسباب الضعيفة والموج رمز للأحكام والساحل رمز للشُّبهِ والقواطع في أثناء رحلة السلوك ، والدابة كناية عن الشُّبهة ، والمعنى العام لهذا التنزيل ايضاح هل السلوك بالعلم أولى أو السلوك بما يحمل القلب من الشوق كيف اتفق ؟ فيُرجح الثاني ويعلل ذلك بقوله : ((لأنَّ الألواح أسباب ضعيفة فكأن راكبها اعتمد على المسبب الحق تعالى لا عليها ، ولست أُريد أنَّ السالك ينبغي أن يترك العبادة بل المراد أن يترك اعتبارها من قلبه ، فإنَّ في ذكرها مِنّة على الله تعالى ، وصرّح أنَّ المخاطرة أسلم ؛ لأنَّ الاعتماد فيها على المسبب أظهر ، والذي حسّن تخصيص الطريق باسم البحر والعبادة بالمراكب في التمثيل هو أنه لو صرّح بهذا المعنى أنكرهُ علماء الرسوم دفعةً واحدة قبل الوصول إلى فهم معناه ، لما يتبادر إلى أفهامهم من أنَّ فيه منابذة للسنة والشرع))[35] .

ويجدد نيكلسون قراءة وتأويل النص ويرى أنه يُقصد بالبحر الرياضيات والمجاهدات الروحية التي يجتازها السالك في رحلته الروحية إلى الله تعالى ، والمراكب ترمز إلى أعمال العبد صالحة أو غير صالحة ، والساحل يرمز إلى الظاهر ، ومقر الظلمة يشير للباطن ، والحيتان مخاطر وعقبات الطريق الوسط بين الظاهر والباطن ، وشرط سلامة الطريق أن يتوكل على الله وحده ويجعله غايته التي تخطّى الصعاب من أجلها وألا يثق بالأغيار ؛ لأنَّ حتى المراكب التي ترمز للأعمال الصالحة وغيرها لا تسعفه بالنجاة ، بل تغرق هي الأخرى ، فلا المركب يُنجي ولا الألواح بسبب الاعتماد على غير الله ، ويريد بالساحل عالم الظاهر ، وبلآلة المركب[36] .

---

[35] شرح المواقف : 53 – 56 .
[36] ينظر : الصوفية في الاسلام : 79 .
[37] مأساة الحلال بين ماسنيون والباحثين العرب : 43

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

ويوجز النص آنف الذكر حقيقة التصوف ومكابدات السالكين في معراجهم الروحي وسعيهم إلى القرب من الله الحق تعالى . لذلك ظهرت مرجعيات النفري مضمرة في عمق كلماته ، فهو لم يقل بالحلول أو الاتحاد بين الخالق والمخلوق ، ولم يؤمن بوحدة الوجود التي اختط ابن عربي لاحقاً حدودها العرفانية والفلسفية والسلوكية[37] ، بل ظل النفري أميناً لمسرح الشهود لديه ، مذعناً لتعاليم الخالق ، فالاتصال بالله عنده يمثل حضوراً وجدانياً مع الله ، وهو يُخبر عنه أنه قال : ((ما أنا في شيء ولا خالطت شيئاً ولا حللت في شيءٍ ، ولا أنا في في ، ولا من ، ولا عن ولا كيف ، ولا ما ينقال أنا أنا ، أحد فرد ، صمد وحدي وحدي أظهرت لا مُظهر إلا أنا))[38] .

فنراه في أغلب نصوصه يتكئ على الخيال لبناء عوالمه الصوفية أو البوح بمواجيد ذاته أو الاشارة إلى حقيقة الذات الإلهية، يقول في موقف الوحدانية : ((أوقفني في وحدة المعارف وقال لي : هي الجهل الحقيقي من كل شيء بي . وقال صفة ذلك في رؤية قلبك وعقلك هو أن تشهد بسرك كل ملك وملكوت وكل سماء وأرض وبرّ وبحر وليل ونهار ونبي وملك وعلم ومعرفة وكلمات وأسماء وكل ما في ذلك وكل ما بين ذلك يقول : ليس كمثله شيء ، وترى قوله : ليس كمثله شيء هو أقصى علمه ومنتهى معرفته))[39] .

المصادر

1. أبعاد التجربة الصوفية (الحب – الانصات – الحكاية)، عبد الحق منصف، أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2007 .
2. الأنساق الرمزية في اللغة والادراك ، تحرير وتقديم د. صابر الحباشة و د. نزار السعودي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2020 .
3. التداولية علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2011 .
4. الرسالة القشيرية .
5. العبور إلى الذات حول المضمر في الخطاب الصوفي ، عباس بن يحي ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة باتنة 1 ، المجلد (20) ، العدد (ديسمبر 2019) .
6. سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي ، خديجة غفيري ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1 ، 2012م .
7. المعجم الفلسفي ، د. ابراهيم مذكور ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، مصر ، د . ط ، 1983 .
8. المقاربة التداولية ، فرانسوا أرمينكو ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الانماء القومي ، 1987 .

---

(38) محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري ، الأعمال الصوفية : 131 .
(39) المصدر نفسه : 75 .

ISSN Online: 2709-071X
DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.12.2022.237 ISSN Print: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (12) May 2022 العدد (12) مايو 2022

9. دلالة الرمز ووظيفته المعرفية في التجربة الصوفية (مصنفات النفري أنموذجاً) ، د. مبروكة معطي الله ، مجلة كلية التربية ، جامعة طرابلس ، العدد (22)الجزء (2) ، يوليو 2021م .

10.

11. شرح مواقف النفري ، عفيف الدين التلمساني ، طباعة وتحقيق وتعليق د. جمال المرزوقي ، مركز المحروسة ، مصر ، 1997 .

12. فرسان العشق الإلهي ، د. عمار علي حسن ، الدار المصرية اللبنانية ، 2017م .

13. فلسفة التصوف ، محمد بن عبد الجبار النفري ، د. جمال أحمد سعيد المرزوقي ، دار الفارابي ، بيروت ، 2009 .

14. فلسفة التواصل ، جان مارك فيري ، تر : د. عمر مهيبل ، المركز الثقافي العربي ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، الجزائر ، 155 ، 2006 .

15. فلسفة الفعل من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد ، اشراف وتنسيق الدكتور عبدالعزيز العيادي والاستاذ البشير ربوح ، دار الأمان ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2015 .

16. فلسفة اللغة عند لودنيغ فتغنشتاين ، جمال محمود ، الدار العربية ، ناشرون ، الجزائر العاصمة ، الجزائر ، 2017.

17. فلسفة اللغة والذهن فرانسوا ديكاناتي ، ترجمة د. الحسين الزاوي ، الطبعة الأولى ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، 2016 .

18. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، الدكتور خليفة بوجادي ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، 2009 .

19. محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري ، الأعمال الصوفية ، راجعها وقدم لها سعيد الغانمي.